التنقيبات الأثرية في الخليج العربي

ونتائجها الهامة

ـــ حضارة دلمون ـــ

يهدى المقال الى الدكتور سليم عادل عبد الحق اعترافاً بجهوده في تخطيط قواعـــد ومستقبل العمل الأثري في دولة الكويت العربيـــة .

هشام الصفدي

رئيس دائرة الحفريات والدراسات الفنية

تثبت التنقيبات الأثرية على أرض الوطن العربي يوماً بعد يوم وبشكل ملموس الدور الكبير الذي تلعبه هذه البقعة الخيرة في تاريخ الحضارة الانسانية ـ وبصفة خاصة المساهمة الرائعة التي قدمها الشعب السامي العربي الذي تدفق من أرض الجزيرة العربية موجة تلو الموجة منذ الألف الثالث قبل الميلاد ـ ويكفي أن يستعيد الانسان بذاكرته المعجزات التي تحققت في العراق وسورية في عهد الملك ميسليم ، ثم في عهد صارجون العظيم وخلفائه ، ثم في الحقبة الأمورية ـ الكنعانية (حضارات بابل ، ماري ، حلب ، الالاخ ، أوغاريت ... الخ) ثم ما تلاها في العهد الآرامي حيث تصبح اللغة الآرامية ولأول مرة في التاريخ لغة التجارة الدولية ـ دونما قوة عسكرية تفرضها . وأخيراً في الموجة الحضارية الكبيرة التي تتوجت برسالة روحية عميقة الأثر وكان للعرب شرف حمل تعاليمها إلى أقاصي المغرب والمشرق .

يحق للقارىء المتتبع لهـذا العرض المقتضب للخطوط الأساسية للحضارة في مشرقنا العربي، يحق له أن يتطلع بأبصاره نحو الجزيرة العربية نفسها ـ مهد ومنطلق كل هذه التفاعلات الخلاقة ـ آملاً أن يعثر هناك على أجوبة لتساؤلاته الكثيرة، ولكن مع الأسف لا تعود محاولاته إلا بنصيب ضئيل من المعرفة ونتف من نصوص التاريخ والمرويات ـ خاصة فيما يتعلق بتاريخ الجزيرة وشعوبها في القرون السابقة لميلاد المسيح ـ والتي هي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق العلمية المستمدة من منهج البحث التاريخي الموضوعي (١). لذلك تبقى الصورة التاريخية للجزيرة العربية في غالب الأحيان معروضة في اطار ضئيل جداً.

لا شك ان طبيعة أرض الجزيرة ومناخها القاسيين قد ساهما في ابقائها بعيدة عن ركب رواد الحضارة والمعرفة المعاصرة ـ ولكن الظروف الاجتماعية ونظام الحكم التي كانت تسود في اليمن على سبيل المثال، والتي ما تزال سائدة في مناطق أخرى من الجزيرة ـ مسؤولة في الواقع عن هذا التقصير بله التخلف الفادح. فكثيراً ما كان عالم الآثار الذاهب إلى اليمن أو إلى الجزيرة بدافع من ظمئه العلمي لا يغامر بمستقبله وماله فقط بل وفي كثير من الأحيان بحياته أيضاً (٢). لذلك ظل التنقيب الأثري في الجزيرة العربية طوال القرون الماضية سطحياً ومحصوراً في بقاع معينة ـ على طابع من البساطة ـ فاقتصر على جمع النقوش الكتابية ودراستها ورسم مخططات هندسية للأوابد التي ما تزال ظاهرة فوق سطح الأرض. ولكنه نادراً ما تمكن من التعمق إلى الطبقات السفلى التي يكمن في جوفها سطور التاريخ الحقيقية.

هذه الصورة المظلمة للبحث العلمي في الجزيرة العربية أخذت تتغير في السنوات العشر الأخيرة إثر المثال النموذجي الذي ضربته الحكومات العربية في دولة الكويت والبحرين وقطر وأبو ظبي لبعثة علماء الآثار الدانمركيين من متحف Aarhus (٣) بما قدمته من رعاية لهم ومساعدة كبيرة

---

(١) يذكر هيرودوتس على سبيل المثال: « أن الافاعي منتشرة في جميع أقطار العالم خلا الحيات المجنحة فلا تراها إلا في بلاد العرب حيث احتشدت كلها هناك » BK III, ch. 109

(٢) توفي أربعة من أعضاء بعثة العالم الألماني ميخائيليس (١٧٦٢) الى اليمن، أما الصيدلي الفرنسي Arnaud فقد عاد أعمى ـ كما تعرض نزيه المؤيد عام ١٩٣٦ والعالم النمساوي ادوارد غلازر لمخاطر مماثلة. كذلك ما جرى لبعثة فيليبس في مأرب مؤخراً.

(٣) نشرت تقارير البعثة الأولية في مجلة Kuml, Arbog For Arkaeologisk Selskab Aarhus, 1954-1961

مادية ومعنوية وتفهم واع لأهداف مهمتهم العلمية . وبالفعل جاءت النتائج بعد سنوات من التنقيب المستمر تقدم صفحات وفيرة من التاريخ تكشف النقـــاب لأول مرة عن حضارة كبيرة مثل حضارة دلمون – الاسطورية سابقاً – بمدنها ومعابدها وقصورها وقبل كل شيء ، دورها التجاري والحضاري بين مراكز المدنية الكبرى وادي الهندوس ، ما بين النهرين ، ووادي النيل منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

اعتباراً من هذا التاريخ وعلى ضوء النتائج البالغة الأهمية التي أدت اليها الحفريات في الخليج العربي قفز مشرق الجزيرة العربية دفعة واحدة الى بساط البحث بعد ان كان الاهتمام التقليدي مكرساً على جنوب وشمال الجزيرة ، طارحاً معه المزيد من المعلومات والمعضلات وسنحاول في هذا البحث الوجيز أن نستعرض مراحل الحفريات ونناقش ونحلل النقاط البارزة من نتائجها (١) . لقد اتاحت لي زيارتي لمعرض الفولكلور والآثار الذي أقيم في متحف مدينة آرهوس في الدانمرك عام ١٩٦٢ فرصة الاطلاع على المواد المكتشفة من البحرين ودراستها عن قرب وخاصة الاختام المسطحة . واني لأشكر الاستاذ جلوب والسيد ببي من متحف آرهوس على مساعدتهما لي وسماحهم برؤية وتصوير أختام البحرين غير المنشورة . واعتبر النجاح الكبير الذي لقيه معرض البحرين واقبال الشعب الدانمركي عليه خير دليل على الصداقة التي يحملها هذا الشعب للأمة العربية . كما ادين للبعثة بالشكر على استخدام المخططات المرفقة بالمقال .

يسيطر الخليج العربي على موقع استراتيجي ممتاز – فهو نقطة متوسطة بين مصر والعراق والهند . وعلى الرغم من تحول طرق التجارة البرية السابقة (تجارة القوافل ومدنها ...) لصالح الطرقات البحرية – خاصة بعد افتتاح قناة السويس – فان الخليج العربي ما زال يحتفظ بمركز هام للمبادلات التجارية بين الشرقين الأقصى والأدنى مضافاً اليهـــا مركزه الجديد كمصدر هام للنفط .

دلت الحفريات والتحريات البسيطة التي قام بها بعض العلماء منذ ١٨٧٨ على الشواطىء الغربية للخليج أن المنطقة الممتدة بين الدمام – عبر القطيف حتى قطر كانت مسكونة بشكل كثيف في عصر البرونز الباكر ٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق . م اذ عثر على لقى وفيرة من ادوات الصوان (٢)

---

(١) اعتمدنا في مصادر البحث على التقارير الأولية للبعثة الدانمركية وعلى المنشورات السابقة عن البحرين . انظر الحواشي .

(٢) راجع : P. B. Cornwall, Ancient Arabia : Exploration in Hasa, 1940 - 1941 .

كذلك اكتشفت أدوات صوانية من العهد الباليوليتكي عند رأس عوينات علي في شبه جزيرة قطر والرفيج ، وجبل مدرا الشمالي – ١٥ ميلاً جنوبي القطيف . بالاضافة إلى فأس يدوي من الصوان من العهد الباليوليتكي المتأخر عثر عليه في الدواديمي (١) وقد ظهرت على أرض الجزيرة العربية نفسها أدوات صوانية تتراوح بين العهد الموستيري – إلى العهد الحجري الحديث (النيوليتكي) . وتشير اللقى من العهد الباليوليتكي المتوسط إلى صلة وثيقة مع حضارة Sohan في شمال غربي البنجاب (باكستان) . وفي نفس الوقت عثر سوية مع الأدوات الباليوليتكية على رؤوس سهام تشابه مثيلات لها في ما بين النهرين تعود للألف الثالث وأخرى من وادي النيل من نهاية الألف الخامس ق . م (٢) . أما المناجل الحجرية المسننه التي عثر عليها فتدل على فترة ، كان الصيد والزراعة فيها قائمان جنباً إلى جنب ، كذلك لم تخل شبه جزيرة قطر من أدوات العهدين الباليوليتكي الأوسط – والنيوليتكي . وبالخلاصة فان هذه اللقى الباكرة المبعثرة على سطح الشاطىء الغربي للخليج العربي تدل بوضوح على مرحلة استيطان بشري باكرة لأرض الجزيرة وعلى اتصالات أكيدة مع البلاد المجاورة .

التنقيبات في جزيرة البحرين

في الحقيقة ماكانت التحريات الأثرية على الشاطىء الغربي للخليج العربي وفي جزيرة البحرين لتأخذ من اهتمام علماء الآثار لولا الظواهر الغريبة التي كانت تبرز فوق سطح الأرض خاصة في جزيرة البحرين . اذ يشاهد المرء الآن التلال الصغيرة الاصطناعية متوضعة جنباً إلى جنب مغطية مساحة كبيرة من الجزيرة . هذه التلال Tumulis ذات الشكل المخروطي المقطوع (٣) كانت قبور أو مدافن أودع سكان الجزيرة فيها موتاهم (٤) . وبالنظر الى انه لم يعثر انذاك الا على هـــذه

(١) KumI, 1956 , P. 201 .

(٢) تؤرخ لقى الفيوم في مصر بواسطة الـكاربون ١٤ ٤٫٢٠٠ ± ٢٥٠ سنة ق . م الى ٤٤٠٠ ± ١٨٠ سنة ق . م .
Thompson and W. Gardner : The Desert Fayum, 1934, P. 73 .

(٣) أمكن فيما بعد بالاستناد إلى الصور الجوية احصاء حوالي مئة الف قبر تغطي رقعة من الأرض تقابل ٢٠ ميلاً مربعاً . راجع
P. V. Glob, TLN. 4 Jan . 1958, P. 14 .
كذلك أمكن التثبت ان الجزيرة كانت عامرة بالحياة اذ تظهر الصور الجوية للبحرين آثار القنوات والري ، اضافة للمواقع الخاصة بالعهود الحجرية الباكرة ،

(٤) سنطلق عليها اسم « تلال القبور » Tumulis .

القبور في الجزيرة [١] – دونما أثر لمدن السكنى – فقد ساد الاعتقاد لفترة بأن الجزيرة مقبرة شاملة استخدمها السكان القاطنون على شاطىء الحسا المقابل . هذه النظرية ثبت عدم صحتها فور بدء الحفريات النظامية الأخيرة في البحرين من قبل بعثة متحف آرهوس ، إذ سرعان ما اكتشفت في الجزيرة نفسها المدينة القديمة « العاصمة ؟ » بمساكنها ومنشآتها الكبيرة في التل المسمى « قلعة البحرين » (شكل ١) الذي تبلغ مساحته حوالي ٢٥٠ ياردة مربعة . كذلك اكتشفت المعابد التابعة للمدينة في مواقع « بربر » و « ديراز » في الشمال الغربي بالاضافة إلى أكثر من ثلاثين موقعاً لمستعمرات العهد الكالكوليتيكي تركزت قرب الشاطىء الغربي والجنوبي .

تبلغ جزيرة البحرين ٣٠ كم من الشمال إلى الجنوب و ١٠ كم من الشرق إلى الغرب وترتفع أرضها حوالي ٦ أقدام عن مستوى ماء البحر ، كما يوجد إلى جوارها ينابيع مياه عذبة تفيض من قاع البحر يعتقد انها متصلة بمجاري تحت ارضية قادمة من نهر الفرات . وقد أشارت سبعة نصوص سومرية إلى هذه الينابيع الشهيرة (Albright , JAOS , 45) . كل هـذه العوامل الملائمة ساعدت الجزيرة على أن تكون محطة ممتازة ومأوى للسفن التي تؤمن النقل والتبادل التجاري بين الهند والعراق قديماً . وقد نشر اوبنهايم [٢] عدداً من اللوحات الفخارية بالمسمارية البابلية من عهد سلالة لارسا (حوالي ٢٠٠٠ ق م) تشير إلى الدور التجارى الكبير الذي كان لجزيرة

---

(١) أول من لفت أنظار العلماء إلى هذه القبور هو الـكابتن Durand الذي فتح عام ١٨٨٠ مدفنين في قرية علي عثر ضمنها على غرف دفن مشيدة من الحجارة . ثم تلاه ١٩٢٤ E. Mackay منقب تل الأحيمر في العراق Kish الذي أجرى تحريات شاملة تحت رعاية جمعية التحريات المصرية نشرها في :
E. Mackay, Bahrain and Hamamieh, Publications of the School of Archeology in Egypt, Vol . XLVII, 1929 .
أما خليفته Cornwall الذي أجرى حفريات سنة ١٩٤٠ – ١٩٤١ فانه لم ينشر نتائج حفرياته النهائية بعد .

(٢) L. Oppenheim , the Sea Paring Merchants of Ur, JAOS , Vol. 74 .

البحرين (١) (قديماً دلمون) وتتحدث عن جماعة من التجار البحارة : « Alik Dilmun » الذين كان يؤمهم اغنياء مدينة أور في العراق ... والبضائع التي جلبوها إلى مدن ما بين النهرين بصدد الحديث عن التقدمة المقدمة إلى الآلهة « ننغال » امتناناً وشكراً على حمايتها لهم خلال أسفارهم الخطرة كذلك تذكر النصوص المسمارية ان هـــذه البضائع كانت تجلب من Makkan, Melluha وهي مناطق لا يزال تحديد موقعها عسيراً ويجيز الفرضيات . ويظن انها تشير إلى وادي الهندوس وعُمان . هذه الاشارة تبرر اعتقادنا بأن جزيرة البحرين لا يمكن أن تكون المنتجة لكل السلع التي نقلها تجار دلمون معهم إلى العراق . وقد تألفت الهدايا الآنفة الذكر إلى الإلهة « ننغال » من سبائك النحاس وخرزات وحجارة ثمينة من اللازورد وامشاط العاج والأدوات المنزلة بالعاج ومساحيق للعيون واخشاب نادرة واصداف وتمور ... وبالمقابل كانوا يعودون إلى الجزيرة حاملين معهم من العراق الملابس والزيوت والفضة ... ولذلك يكون التفسير المقبول بأن البحرين كانت المحطة التجارية الرئيسية بين العراق والهند . وبالفعل أثبتت الحفريات ما مردته النصوص من سلع فعثر في معابد بربر وفي أبنية المدينة في قلعة البحرين على كثير منها من أواني البرونز وقضبان النحاس وأدوات العاج (٢) . وتذكر النصوص الآشوريه من عهد الملك صارغون : « الملك Upêrie ملك دلمون الذي يعيش مثل السمكة ، على مبعدة ٣٠ ساعة مزدوجة bîru بعيداً في وسط بحر الشمس الشارقة » (٣) . واستناداً الى عالم اللغات الاكاديه ــ البابلية الأستاذ Von Sohden تعادل الـ bîru أي الساعة المزدوجة احـــدى عشر

---

(١) الى أمد قصير كان الجدال محتدماً بين اللغويين وعلماء الآثار حول تعريف جزيرة البحرين باسم « دلمون » الوارد في النصوص القديمة . وأكثر المهاجمين لهذا الرأي هو عالم اللغـــات السومرية S. N. Kramer الذي يرى بأن موقع حضارة دلمون يجب أن يكون الجنوب الغربي لإيران لا جزيرة البحرين

Basor, 1944, Dilmun the land of the living

وكان Cornwall أول من أشار الى جزيرة البحرين باعتبارها مركز دلمون ibid, 103 P. 3 وبالاستناد الى الأدلة الوفيرة التي قدمتها الحفريات في البحرين اعتقد انه لا مجال للشك بعد اليوم في صحة التعريف . ولربما تكون البحرين جزءاً من حضارة دلمون الكبيرة التي يميل كورنوال الى اعتبار شاطىء الحسا تابعاً لها حيث تظهر هنا نفس نماذج وهندسة تلال القبور .

(٢) راجع P. V. Glob, Kuml 1954, S. 100 ff.

(٣) Basor 103, 1946, S. 3 ff. on the location of Dilmun u. AFO XV, S. 169 - 170.

كيلو مترا (١) وهذا يقارب حقاً مسافة الثلاثمائة ميل التي تفصل جزيرة البحرين عن خليج البصرة (٢)

تلال القبور Grabtumuli

تتألف المقبرة الواسعة في البحرين من آلاف القبور المستديرة الشكل والمتفاوتة الاحجام. فيتراوح ارتفاعها بين ١ ـ ٦ أمتار ويبلغ بعضها في قرية علي ١٢ متراً. فهي تشبه الى حد ما الاهرامات أو بالأحرى المصطبات المصريه. إلا ان قاعدتها الدائروية الشكل تبلغ أحياناً ١٧ متراً وذلك في المدفن (٣) رقم (١/٣١).

أما الجدران فقد صنعت سواء من كتل الحجر الكلسي المنحوت بعناية شيدت بلحم الحجارة إلى بعضها دون استخدام الملاط. وفي بعض الأحيان كان سطح الجدار الداخلي مطلياً بالملاط ـ إذ انها شيدت من حجارة كلسية خشنة الصنع. وبعض القبور كانت تحاط بجدار خارجي دائروي الشكل عثر Machay على مثلها في شاطىء الحسا وفي جزيرة البحرين وبلغ قطر الجدار الخارجي ٧٠ قدماً والداخلي ٤٠ قدماً. ويضم الجدار الداخلي غرفة المدفن الوحيدة التي تبلغ أبعادها في المدفن (١/٣١) ١٨٠ × ٩٠ × ١١٦ ولها عشين لايداع الجهاز الجنائزي وسقفها يتألف من أربع بلاطات طويلة. هذا النموذج من الغرف من النوع الشائع الذي وصفه Machay وهو نموذج لم يعثر عليه خارج الجزيرة وأقرب مثال اليه هو الأحواض الحجرية Stone Cists المعروفة في تبه جورا في العراق في العهود ما قبل السلالية (٤). أما المدخل فوحيد كان يردم عادة بالحجارة كما يطمر كافة المدفن وجدرانه بالحجارة الصغيرة والكبيرة والرمل حتى يختفي تماماً وبذلك اتخذ المدفن شكل تل صغير يبدو كأنه طبيعي.

(١) Von Sohden, Akkadixler Wörterbuch.

(٢) حدد Arrian نفس المسافة ـ الا انه اشترط مدة يوم وليلة مع ريح ملائمة لبلوغ الجزيرة.

(٣) T. G. Bibby, Kuml 1954, S. 118, Abb. 2.

(٤) A. Perkins, the Comperative Arch. of early Mésopotamia, P. 180.

الملاحظ ان الاختلافات مع قبور تبه جورا كبيرة لا تسمح لنا باستنتاج صلة أو علاقة بين الموقعين اذ ان محتويات القبور في تبه جورا مختلفة تماماً عن البحرين عدا عن أن وضع الميت هو على الجانب الأيسر بخلاف طريقة الدفن على الجانب الأيمن المتبعة في البحرين.

أما النموذج الثاني للمدافن فهو يقارب شكل مصطبتين متوضعتين فوق بعض بشكل دائروي متدرج (المدفن ٣١/٢) ويشكل الصخر الطبيعي أرضية غرفة المدفن (شكل ٢) التي تتشكل عادة من طابقين وقد شيدت بشكل حرف T . وبلغ قطر المدفن هـذا ٢٠ متراً وارتفاعه ٤٫٦٠ متراً ويحيط به جداران . وكان في الأصل مكشوفاً أي لم يطمر . والجدير بالذكر ان جدران الغرفة العليا لم تستند مباشرة على بلاطات سقف الغرفة السفلى بل كان هنالك طبقة من الرمل النظيف سمكها ٣٠ سم ثم تحت هذه الطبقة طبقة سمكها ٢٠ سم من الحصى وضعت مباشرة فوق سقف الغرفة السفلى والغرض من ذلك ان يضطجع الميت على الأرض الطاهرة مباشرة سواء على الصخر الطبيعي في الغرفة السفلى أو على الرمل النقي في الغرفة العليا . هـذه العادة الهامة المتميزة نجدها متبعة أيضاً في بناء معبد بربر الذي شيد على طبقة سمكها ٥٠ سم من الرمل النظيف . ونفس الأسلوب نراه متبعاً في العراق في بناء المعبد البيضوي في خفاجه (١) الذي بنيت جدرانه أيضاً فوق طبقة من الرمل فرش خصيصاً بعد حفر الأساسات على نطاق شامل . أما الميت فقد عثر على هيكله مضطجعاً على الجانب الأيمن ويداه أمام وجهه وأقدامه بوضع القرفصاء . عثر Mackay على مثيله سابقاً في المدافن رقم ٢ ، ٥ (٢) ونفس الوضع معروف من مدينة أور (٣) في عهد جمرت نصر أو ما قبل السلالات .

أما الهدايا الجنائزية فكانت تودع في الأعشاش الجانبية . وللأسف عثر على معظم القبور منهوبة . في الحقيقة كان الهدف من اجراء التنقيبات في المدافن هو تحري العلامة القائمة بين القبور والمباني المكتشفة في البحرين ، وذلك عن طريق دراسة نماذج الأواني الفخارية واللقى الأخرى التي تودع عادة في القبور . ثم مقارنتها مع اللقى المكتشفة في المدينة والمعابد . وبالفعل كانت لقى المدفن ٣١/٢ الذي نقبه الأستاذ Glob قليلة وتشير كسر الفخار التي عثر عليها إلى نماذج مماثلة من العهد الأكادي . ولذلك يحتمل أن القبور من نهاية عهد السلالات أو من العهد الأكادي أيضاً (٤) . ولربما تقدم قطع الفحم التي عثر عليها في نفس المدفن تاريخاً محدداً (بطريقة الكاربون ١٤) .

---

(١) OIP. 53, The Oval Temple at Khafajah .

(٢) Mackay, Bahrain and Hamamiah, P. 22. Pl. IV .

(٣) P. V. Glob, Kuml 1954, S. 133 ff .

(٤) Glob, S. 133.

نفس المرجع

معظم المواد المكتشفة من القبور لم تنشر بعد لذلك يكون اعطاء رأيي في الوقت الحاضر سابق لأوانه .

أما النموذج الثالث لتلال القبور في البحرين (غربي العاصمة الحالية المناما) هي تلك العائدة إلى عصر الحديد . تتصف بطابع يختلف عن قبور عهد البرونز في الشكل والحجم فهي هنا أعرض وليست دوماً دائرية الشكل . وأحياناً شيدت بشكل مجموعات تؤلف أشكالاً غير منتظمة . أما الفخار الذي عثر عليه ضمنها فيعود غالباً إلى العهد الفارثي (١) .

وفي المدفن رقم ٣٦/٣ عثر على جمل صغير قطعت قوائمه بعد أن قدم أضحية – إضافة إلى ثلاثة هياكل بشرية . ونرى هنا أن عادة الدفن تختلف كلية إذ اضطجعت الهياكل على الظهر لاعلى الجنب عدا عن ظهور تضحية الجمل . ولربما استعمل المدفن في العهد الإسلامي أو الجاهلية (٢) . من كل ماتقدم نرى أن استعمال قبور التلال كان عادة راسخة في شرقي الجزيرة العربية والبحرين بقيت قيد الاستعمال أكثر من ثلاثة آلاف سنة . فأعطت بذلك للمنطقة طابعاً عمرانياً خاصاً يميزها عن التقاليد الجنائزية المتبعة في مابين النهرين . ونريد أن نذكر القارىء أن دراسة مدافن البحرين وشرق الجزيرة لاتزال تحتفظ بالطابع الأولي لأن مادة البحث وهي تلال القبور لم تعالج بعد على نطاق واسع وسوف تعطينا الحفريات المقبلة صورة أكمل . والدليل على ذلك المخططات الهندسية الجديدة التي قدمتها لنا التلال المنقبة أخيراً في « أم النار » إذ تتصف بتقسيمات مختلفة لغرف الدفن رغم أنها تحتفظ بالمخطط الدائروي بالإضافة إلى أن واجهة المدفن على جانبي المدخل قد زينت بنقش نافر على الكتل الصخرية الملساء يمثل جملاً وثوراً (٣) (شكل ٣) .

وتشير كميات الأواني الفخارية المصنوعة على الدولاب والمزينة بألوان سوداء على أرضية رمادية أو بلون بني قاتم على أرضية حمراء التي عثر عليها في مدافن أم النار إلى صلة مع فخاريات حضارة kulli في بلوخستان (٤) من الألف الثالث ق . م . التي تري أشكالاً وتزيينات

---

(١) Bibly , Kuml 1954, s. 138 .

(٢) عبّر حسان بن ثابت في قصيدة له عن رغبته ل أن ينحر ناقته على قبر أحد أبطال الجاهلية .

(٣) Kuml, 1960, S. 213 , fig. 4 ; K. Thorvildsen , Kuml 1962 , S . 191 — 219, Abb. 7,8, 4, 5.

(٤) S. Piggott , Ancient India No . 1, 1946, P. 8 ff. : Kuml 1962 , S. 219, Fig 20 — 24 .
تقتصر الزخارف الهندسية الشكل غالباً على النصف العلوي من الإناء وفي نموذج فريد يحتل الفراغ بين المتوبات رسم ثور ذو سنم محدب .

مشابهة إلى درجة كبيرة . وهــذا دليل جديد على الصلات البحرية بين الجزيرة العربية والمناطق المجاورة .

معابد بربر : يقع تل المعبد جنوبي قرية بربر وقد تم اكتشافه صدفة إذ دلت كتلة من الحجر المنحوت كانت بارزة فوق سطح التل على الأبنية المهدمة التي تشكل التل منها إذ تبلغ مساحته ٣٦٠٠٠ متر مربع ويرتفع عن سطح السهل المجاور ١٦ قدماً . ولقد أسفر السبر عن ثلاث مباني متوضعة فوق بعضها ولكنها بحالة مؤسفة من التهدم حتى سوية الأساسات . والغريب في هذه المنطقة أن التل لم يبلغ ارتفاعه الحـالي لمجرد تهدم الأبنية الماضية وإعادة البناء فوقها كل مرة ، أو لتراكم الرمال على مر الزمن بل الملاحظ أن أحدث بناء للمعبد (الطبقة III) قد دمرت في الماضي عمداً ثم كوم فوق بقاياها كمية كبيرة من الأنقاض المختلفة المواد لأخفاء معالم المعبد كلية أو لاطفاء قوته الدينية . ولكن الأغــرب من ذلك أن الذين دمروه لم يتعرضوا للحرم المقدس فيه . بل ترك المذبح Altor وحجارة العبادة Cult — Stones سليمة في أماكنها رغم أن كافة بلاط أرض المعبد قد اقتلع من مكانه (شكل ٤) .

ويمكن القول استناداً إلى اللقى الملتقطة أن دمار المعبد (السويه الثالثة) قد حدثت في منتصف الألف الثالث ق.م.[١] ثم تعرض موقع المعبد في أزمنة متأخرة لنهب وقلع حجارته ثم استعمالها من جديد لأغراض البناء ، وهذا ألحق بمجموعة المعبد تشوهاً بليغاً زاد في صعوبة تعريفها أو إعادة رسم مخططاتها . وأن مايزيد من أهمية المعبد في بربر أنه أقدم حـرم ديني عثر عليه إلى الآن في الجزيرة العربية وتزداد أهميته المعمارية لكونه يري صلة تشابه مع معبد « العوام » في مأرب[٢] المسمى حرم بلقيس .

أسس المعبد الأول I على تل اصطناعي من الصلصال[٣] ارتفاعه ٦,٥ قدمـاً غطي بالرمل

---

(١) Glob, ILN 4 Jan . 1958 , S. 14 ; Kuml 1954, S. 142 — 153 ; Kuml S .192 , 1955 .

(٢) A. Grohmann , Arabien , S. 264 , n. 178 ff . Abb . 60 .
.F. Albright , BASOR128 (1952) S 27, Abb . 1 . Vgl

(٣) عادة تشييد المعابد على مصطبة مرتفعة تقليد معماري معروف في أبنية مابين النهرين ويحتمل انهـا المرحلة الأولى في تكوين الزقرة .

ويحيط به جدار تقع ضمنه الباحة الداخلية للمعبد والتي تحتوي على المذبح . وتتميز حجارة الجدران بانها من الحجر القامي الرمادي اللون اقتطعت غالباً من جزيرة البحرين نفسها وهو نفس نوع الحجر المستعمل لبناء تلال القبور . في حين كانت حجارة المعبدين التاليين من الحجر الكلسي الأبيض الناعم الذي اقتطع من جزيرة « جدا » الواقعة على مبعدة ٦ أميال إلى الشمال الغربي من البحرين . وبعد تهدم السوية الأولى شيد معبد السوية الثانية على نفس الموقع ولكنه كان أكبر حجماً ويغطي مساحة أكبر من رقعة سابقة . أما المخطط فقد اتبع شكل الجدار الخارجي وبناء داخلي وباحة . والملاحظ أن الجدار الخارجي يقع على سوية أخفض من البناء الداخلي المرتفع نسبياً مما يعطي للناظر انطباعاً وكأن البناء زقرة صغيرة لها ثلاث مدرجات (١) مما يعيد للأذهان صور معابد مابين النهرين .

كان للمعبد مدخلان الأول بشكل درج حجري يرتقي إلى المعبد II من الجهة الجنوبية والثاني منحدر Ramp من الجانب الغربي يؤدي إلى المعبد الأول . وتبلغ الباحة الداخلية ١٤×١٨ متراً يقوم في وسطها بناءان صغيران دائرويا الشكل يتصلان في نقطة مع بعض (D,E شكل ٤) وإلى الجنوب منهما يقف حجرا المذبح (B) وأمامهما حوض صغير من الحجر . وخلف البنائين الدائرويين يوجد حجر مثقوب (لربما كان لربط حيوان الأضحية) C مما يقرب للأذهان ما نشاهده في الاختام البابلية والسومرية الجديدة من مشهد الإله جالساً على عرشه وأمامه المذبح والتقدمات . يضاف إلى كل ذلك ما عثر عليه من أواني نذرية من النحاس وأواني الالباستر الاسطوانية ذات الغطاء (٢) وتماثيل برونزية وخرزات من اللازورد ودمية بشكل العضو البشري المذكر . كل هذا يثبت العلاقة القائمة انذاك بين جزيرة البحرين وما بين النهرين ومصر والهند .

عثر في حفريات ١٩٥٧ عند الزاوية الجنوبية للمعبد على نبع ماء وله درج يصله بالمعبد (٣) كما عثر عام ١٩٥٩ أثناء كشف المنحدر الغربي على مرتقى إلى « معبد مائي » وجد في وسطه

---

(١) Glob, Kuml 1954, S. 149 ff. Kuml 1958, S. 144-145. Abb. 2. 4.
Alabaster Vases from the Bahrain Tempel, Ur Excavations, II, s. 379, pl. 177.

(٢) عثر على مثيل لهذه الأواني في حفريات أور وأخرى مماثلة لها في النوع والمادة والحجم عثر عليها في مصر وتعود إلى عهد السلالات الباكرة .

(٣) Kuml, 1957, 123, Abb. 10, 126; Kuml 1959, s 234. Abb. 2.

إناء حجري مزود بثلاث ثقوب كانت تتدفق منها مياه المنبع . هذا الاكتشاف يؤكد وجود عبادة آلهة الينابيع في الجزيرة العربية منذ عهد باكر جداً يرجع إلى الألف الثالث ق . م . تلك العبادة التي نجدها ممثلة أيضاً في معبد « الحقا » Huqqa في جنوب الجزيرة العربية والذي يعود إلى القرن الأول ق م [١] ويعتقد الأستاذ جلوب منقب المعبد أن الحجارة المرصوفة على صفين (H) والمزودة بثقوب على سطحها العلوي كانت تشكل ممراً ضيقاً نصبت فيه تماثيل الآلهة الخشبية ، يمر عبره الموكب الديني في طريقه إلى الحرم أو قدس الأقداس .

يتصل بهذه المجموعة الدينية من الناحية الشرقية جدار بيضوي الشكل يبلغ ارتفاعه ١٫٠٥ متراً يصعد منه إلى المعبد بواسطة مرتقى (D) Ramp (شكل ٥) [٢] طوله خمسة أمتار كان البناء البيضوي الشكل مزوداً بقناة لتصريف المـــاء وله جدارين آخرين بيضويين الواحد ضمن الآخر (A, C) يتصل أولهما بالمرتقى (D) أما الثاني فإنه بشكل مصطبة مرتفعة عثر حولها على كسر من فخار بربر التقليدي Red ridged وكعوب كؤوس فخارية حمراء مكسورة كذلك صفائح رقيقة من النحاس أو البرونز مطوية ومسامير ورؤوس سهام والكثير من العظام تدل على الطقوس التي كانت تمارس في المعبد الصغير . وأمكن تمييز ثلاث مراحل لبنائه تتوافق إلى حد ما مع مراحل وطبقات معبد بربر الكبير . ونستطيع أن نحدد له بالتالي تاريخاً مماثلاً في منتصف الألف الثالث وأهم شيء في المعبد هذا هو شكل مخططه البيضوي الذي لا نجد مماثلاً له إلا في معبد ننهورساج في العبيد [٣] والمعبد البيضوي في خفاجة في العراق [٤] الذين قد يعاصرانه أيضاً ويحصر Delongaz عهد المعابد البيضوية بعهد السلالات الباكرة [٥] .

---

(١) A. Grohmann, Arabien, S. 266, u. 168.

(٢) P. Mortenson, Kuml 1956. s. 195 — 198, Abb. 1, 2. the Tempel oval at Barbar.

(٣) TRAQ V, (1938), Delongaz, s. 1 — 9, Fig. 2.

(٤) OIP 53, The Temple Oval at Khafajah, 1940.

(٥) OIP (1940) s. 144.

أخيراً يجدر الإشارة إلى حرم صغير لعبادة الينابيع Ouellenheiligtum عثر عليه في قرية ديراز خلال موسم حفريات ١٩٥٤ [١] يسميه العرب حالياً عين أم السجور ويقال بأن عبد الملك ابن مروان هدمه عقاباً لأهل البحرين الذين يحتمل أنهم ارتدوا لعبادة الاصنام . وقد كان مدخل النبع في الماضي محاطاً بتمثالين صغيرين لثورين متعبين (طول ٣١ سم) وجدا مهشمين في جوف النبع .

إذا حاولنا من كل الدلائل المتقدمة استنتاج شخصية الآلهة التي كرست لها معابد البحرين فإننا لا نصل الى جواب شاف إذ لم يعثر على نصوص مكتوبة تلقي الضوء على أسرار العبادة أو مجمع الآلهة لحضارة دلمون . ونكتفي حالياً بأن نذكر أن الرسالتين اللتين عثر عليهما في ينبور تذكر الآله INZAG وربما يضاف إليه الآلهة السومرية ش ونهورساج [٢] ويمكننا أن نعتقد أن جزيرة البحرين تضم بالاضافة إلى الأوابد الدينية قصراً ملكياً كبيراً هو : « قصر ريمون خادم الآله انزاك ، من قبيلة اغاروم » [٣] بالاستناد إلى الكتابة المسمارية التي نقشت على قدم تمثال كبير مفقود . وقد عثر على هذه القدم البازلتيه مبنية في جدار مسجد عام ١٨٧٩ ويبلغ طولها ٦٥ . سم . هذا القصر من المرجح جداً أن نعثر عليه في مدينة البحرين عاصمة دلمون السابقة ؟

<u>مدينة البحرين القديمة</u> : اختفت عاصمة البحرين القديمة (؟) تحت التل المعروف اليوم باسم « تل القلعة » على الشاطىء الشمالي للبحرين ، نسبة إلى القلعة البرتغالية الكبيرة [٤] التي تتربع ذروته على ارتفاع ١٥ متراً . ولقد دلت الآن كسر الفخاريات الصينية الفارثية والإسلامية على مظاهر العمران السابقة في التل . يحيط بالقلعة خندق عميق حفر حتى الصخر الطبيعي ، وقد بدأ الكشف عن المدينة باجراء آسبار اعتباراً من هذه المنطقة واصطدمت الأسبار على عمق سبعة أمتار بجدران بناية كبيرة مبنية من كتل ضخمة من الحجر الكلسي يبلغ سمكها ١,١٠ متراً . ولا تزال الجدران قائمة الى ارتفاع يقارب الخمسة أمتار . والجدير بالذكر أن سطوح الجدران الحجرية كانت مكسوة من

---

(١) Bibby, the well of the Bull , Kuml 1954 , s. 154 — 163, Abb. 1—3 Cornwall , JCS VI , S. 137 — 145 .

(٢) يشير نص مسماري إلى اسم اله آخر من آلهة دلمون وهو Meskilak .

(٣) Kuml 1954 , s. 104, Abb . 4 ; E. Durand , Islands and Antiquities of Bahrain : JRAS , Vol . XII, 1880 , s. 189 ; s. 5 .

(٤) تعود القلعة البرتغالية إلى القرن السادس عشر ميلادي وهي نموذج لبداية التوسع الأوربي البحري الذي كان مقدمة للاستعمار . ويجدر أن نذكر الأضرار الفادحة التي سببها البرتغاليون لمباني وبقايا حضارة بربر إذ اقتلعوا حجارتها لتشييد القلعة .

الداخل بطبقة سميكة من الملاط تماثل نفس الاسلوب الذى ذكرناه في بناء تلال القبور في قرية علي وبالتالي تشير إلى تعاصر زمني وعلاقة وثيقة بين القبور والمدينة الكبيرة .

وبما أن الحفريات على التل لم تتخذ بعد الوضوح الكافي (١) فانه سنكتفي حاليا بالاشارة الى عدد طبقات السكنى المتوضعة في التل يتخللها أحيانا مدافن وتوابيت من القرميد المشوي مطلية من الداخل بالقار . وتشير اللقى المصاحبة للتوابيت الى العهد البابلي الجديد . والتوابيت بحد ذاتها طريقة مألوفة للدفن نراها في مابين النهرين منذ عهد ايسين ـ لارسا وبقيت متبعة الى الألف الأول أيضاً ، ومما لاشك فيه أن الأبنية التي توضعت فيها التوابيت على ارتفاعات مختلفة أقدم من التوابيت نفسها . والطريف أن بعض الجدران الضخمة استخدمت في ما بعد وخاصة في العهد الاسلامي لتشييد الأبنية الجديدة .

تدل الطبقات الستة الأساسية التي أمكن حصرها في تل القلعة على مراحل السكنى في التل . وتتصف المدينة بأنه كان يحيط بها سور ضخم مزدوج قام على سرير من الصخور الطبيعيـة ولا يزال السور في بعض المواقع قائماً رغم النهب الذي تعرضت حجارته له . وهي من حجارة جزيرة جدا المجاورة ونرى كثيراً منها حالياً ضمن جدران القلعة البرتغالية (٢) . وعلى ضوء التقارير الأولية التي قدمتها البعثة الدانمركية تعود الطبقات الأربعة السفلى الى حضارة دلمون أي الى الألف الثالث ق . م .

تعرفنا في الطبقات الأربعة على نماذج حضارة دلمون بواسطة أواني الفخار والاختام المسطحة التي عثر عليها أثناء التنقيب . ويطلق المنقب اسم « بربر » على نموذج من الاواني الفخارية تتصف بكونها آنية واسعة البطن لها رقبة نحيفة ولون أحمر ، وأخرى لارقبة لها بل يوجد ميزاب صغير لسكب السوائل وشكلها مستدير ذو لون أحمر (٣) Ridged ware وآنية هذا النوع ذات سطح محذذ أفقياً .

وهنالك انقطاع في تتابع السكنى في مدينه بربر بعد زوال حضارة دلمون ، اذ هجرت المدينة في « قلعة البحرين » وكذلك في جزيرة فيلكا Failaka وبربر . ثم تعود الحياة من جديد في العهد الآشوري المتوسط أو البابلي الحديث وتستمر متصلة حتى العهد اليوناني والملتسي ثم تعود بعد انقطاع جديد مرة أخرى في القرن السابع ميلادي إثر الفتح الاسلامي .

---

(١) Glob, Kuml 1954, s. 16 — 169 ; Kuml 1955 , s. 192 ; Kuml 1959, s. 238

(١) Kuml 1957 , s. 152 ff.

(٢) راجع تصنيف الفخاريات في نفس المصدر Kuml 1957 , s. 144, Abb. 14 — 15 ;

الى جانب الفخار تعتبر الاختام المسطحة علامة مميزة لحضارة دلمون ، فهي تتوفر في الطبقات الاربع الاولى في البحرين [١] وفي حفريات جزيرة فيلكا [٢] وأصبحت نسبتها الى حضارة دلمون قطعية بعد أن اكتشف عند جوار المدينة مصنع لصناعة الاختام المسطحة من حجر السيتاتيت وأختام في معبد بربر تماثل تلك المكتشفة سابقاً قبل الحذيات الدانمركية [٣] .

الاختام المسطحة : تتصف الاختام المسطحة المستديرة الشكل أنها تحوي جنباً الى جنب عناصر هندية وأخرى ميزوبوتاية بالاضافة الى المواضيع الاصيلة الخاصة بحضارة دلمون . ولقد ساد الاعتقاد طويلا إثر اكتشاف عدد قليل من هذه الاختام أن مصدرها الهند وحضارة موهنجودارو . ومما زاد هذا الاعتقاد اكتشاف عدد من الاختام الهندية في حفريات أور وتل أسمر [٤] خاصة تلك الاختام التي تحلت بصور قطيع من الفيلة أو بالكتابة القويرية الخاصة بحضارة Horappa ، وهذا الرأي يصعب سلفاً الأخذ به [٥] حتى وقبل اكتشافات البحرين الاخيرة لأنه الختم الاسطواني الخاص بحضارة مابين النهرين كان غريبا في حضارة موهنجودارو = حربا التي ساد فيها الختم المسطح المربع – لا الدائري الشكل . واليوم يمكن تفسير ظهور هذه الاختام [٦] بانها وصلت الى العراق عن طريق تجار البحرين Alik Dilmun اللذين استلموا زمام المبادلات التجارية منذ الالف الثالث ق . م

لقد كان شكل الختم المسطح المستدير [٧] ومادته المنتقاة من حجر السيتاتيت الطري عاملا مساعداً سهل على ناقش الاختام الدلموني انجاز نحت عميق واضح لربما فاق به زملاءه فى سومر

---

(١) Bibby 1957 , s. 143, Abb. 13 .

(٢) Glob , Kuml 1958 , s. 168 — 170 , Abb . 3 .

(٣) Ibid 1958 , s. 144 .

(٤) Oip 72, Nr . 642 .

(٥) ابدى العالم Gadd تشككه في أن يكون مصدر الختم هو منطقة لوهنجودا ورحربا Gadd , Proceedings of the British Academy , Vol. XVIII , 1932 , P. 191

(٦) H. Mode , Dar friile Indien , T of . 73 , s. 85 ff .

(٧) يبلغ قطر الختم ٢٥ ملليمتراً وسماكته ١٠ ملليمتراً وهو منقوش على وجهه الأسفل أما الوجه الأعلى فهو محدب يشبه شكل الدرع ومزخرف بخطوط أفقية في الوسط وأربعة دوائر تشكل سهماً على الأطراف ، ويخترقه ثقب افقي ليعلق الختم به الرقبة – والنموذج الثاني هو مستدير سطح من الوجهين ومصور عليه مشهدين انظر (الشكل رقم ٦) .


شط العرب
فيلكا
ايران
بندر عباس
الخليج العربي
البحرين
قطر
الهفوف
عمان
ابوظبي
ام النار

وأكاد اللذين عملوا في ظروف أصعب من حيث شكل الختم الاسطواني ومادته الأكثر صلابة .

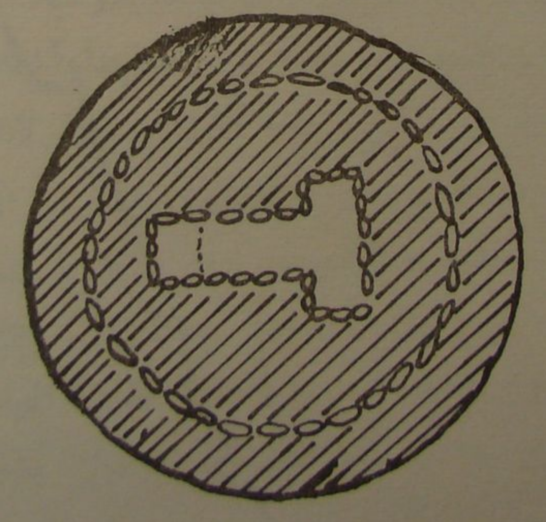
الا ان جودة النقش ونجاح تصوير الاشخاص والحيوانات والحركات بقيت في اختام البحرين على مستوى متواضع لايمكن أن نقارنه مثلا بالمنجزات الاكادية الرائعة من حيث صياغة تقاطيع الاجسام أو التعبير عن الانفعالات والحركات في تناسق منسجم شكلا وموضوعاً . فالبطل العاري الذي يمسك البوابة التقليدية يتألف جسمه وأطرافه من خطوط بسيطة لا عضلات فيها ولا تعبير . أما وجهه وذقنه وشعر رأسه فكان الفنان الدلموني اعجز عن اعادة تصوير تفاصيلها . أما الثياب فيسود فيها أسلوب التخطيط Schraffierung وتكون الاشكال على العموم هندسية بزوايا قائمة حتى أعضاء الجسم تأخذ نفس الزوايا القائمة أو الحادة . ويتميز النحت بكونه عميقاً بآلة حادة . ولا يتاح لنا في هذا الموضع أن نحلل بالتفصيل المواضيع التي تألفت منها أختام البحرين وفيلكا لوفرة عدد المكتشف منها الى الآن – ويمكن القول أنه بالاضافة الى أشكال الوعول والرجال والأفاعي والثيران والطيور والازهار هنالك مواضيع جديدة ترد لأول مرة في أختام البحرين منها الاله الجالس على ثور يداعب غزالاً (حامي الحيوانات الأليفة ؟) . أو الرؤوس البشرية المثبتة على أوتاد مع زخارف ثانوية . أو الحيوانات المتصالبة بشكل زوبعة Wirble نعرف صوراً مماثلة لها في فخار سامرا . . . ولا نستبعد أن يكون تشابه بعض المواضيع وأسلوب النقش في الاختام الكبادوكيه – فترة المستعمرة الآشورية في كاروم كانش – مع أختام البحرين وسوزه والى حد ما أختام سورية الشمالية والساحلية دليلاً على صلة دينية أو عرقية بين منتجي هذه الاختام ، إذ لاتقتصر نقاط الالتقاء بينهـا على اتباع الاسلوب الهندسي التخطيطي أو التظليلات في رسم المشاهد – وهذا هو العنصر الأساسي – الامر الذي يعتبره العالم فرانكفورت منذ بدايته في العهد الاكادي نتيجة التقاء عمليتي تبسيط مستقلتين [١] ، بل وأيضاً على التقاء في الافكار والتصورات التي هي بلا ريب انعكاس لعقائد دينية وميثولوجيه متماثلة [٢] . وللأسف لاتخولنا المواد الأثرية المكتشفة الى الآن والتي لم ينشر الكثير منها بعد – أن نحدد أفق هذه الحضارة بشكل ثابت .

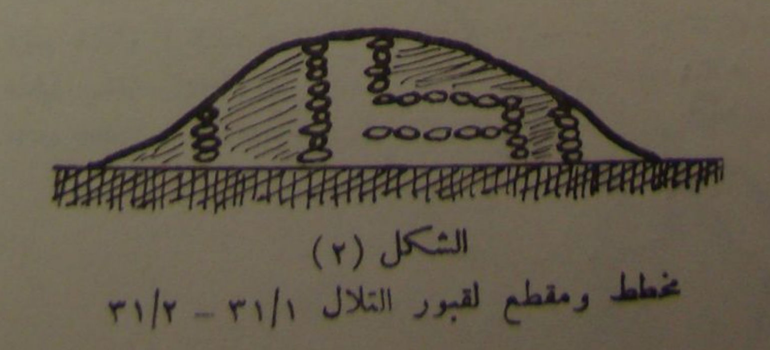
---

(١) يعتبر فرانكفورت ان عملية التبسيط هذه H. Frankfort, Cylinder Sealr, P. 245. تعكس حتى تقليداً بربرياً للأنماط الميزوبوتامية (المصدر نفسه صفحة ٢٠٥) ولكنه يعترف بأن الحضارة المحلية في كبادوكية كانت مؤكداً جزءاً من رقعة أوسع ، لا يستطيع في الوقت الحاضر قياسه (ص ٢٤٩) .

(٢) A. Moortgat, Die bildende kunst des Alten Orients und die Berguölker s. 21

0 50 100CM



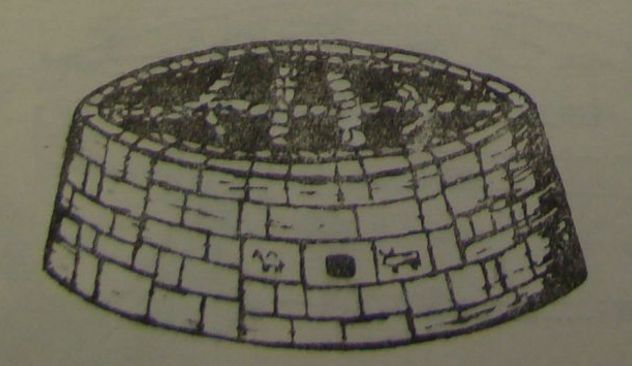


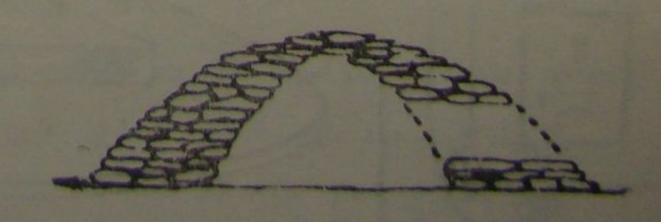
الشكل (٢)

مخطط ومقطع لقبور التلال ٣١/١ – ٣١/٢

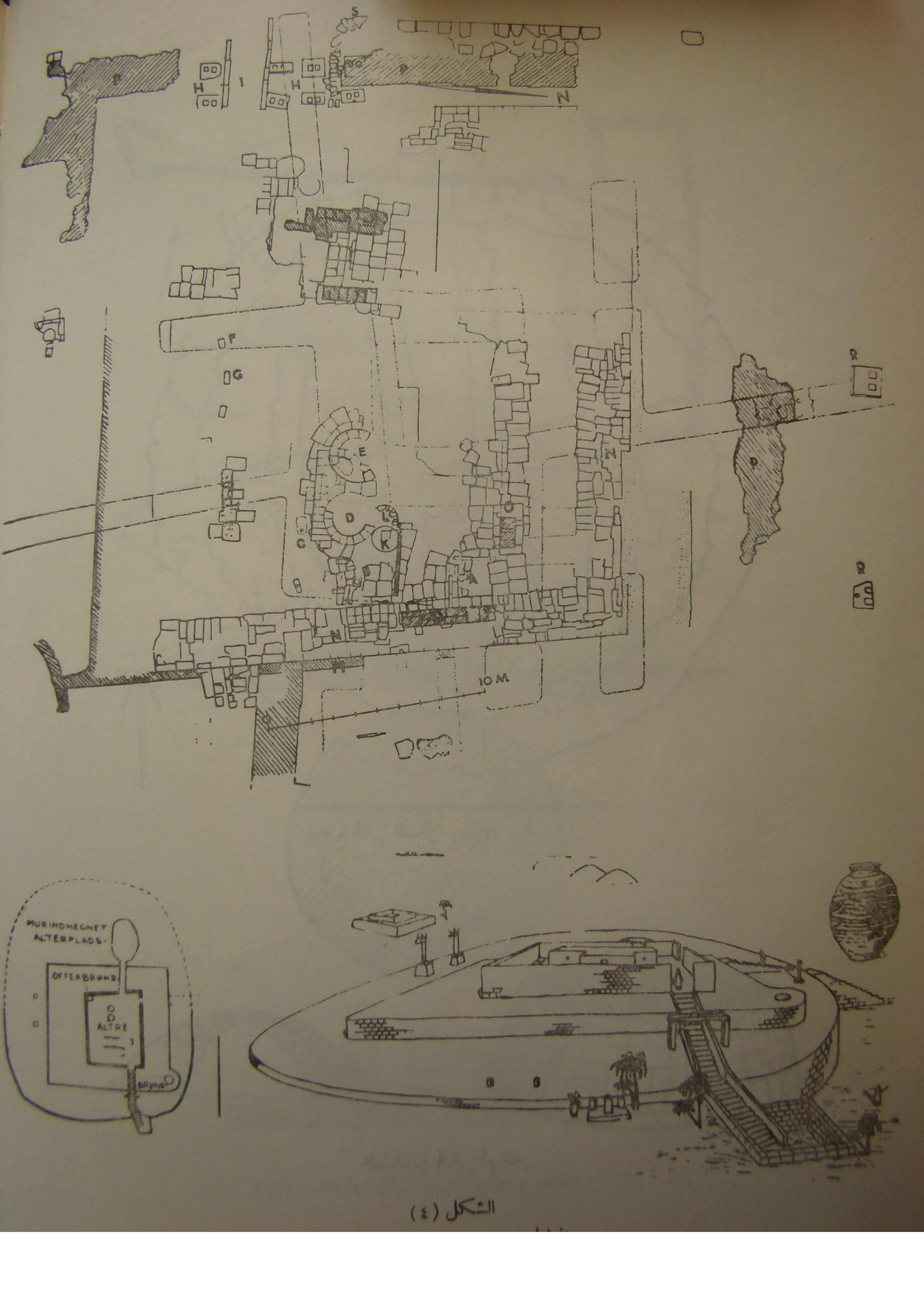
الشكل (٣)

مقطع افقي للمدفن رقم II – أم النار





مخطط من مدفن أم النار


S
H
I
H
N
F
G
R
E
P
N
D
L
K
C
O
A
N
10 M
R
MURINDHEGNET
ALTERPLADS
OFFERBRØND
ALTRE

الشكل (٤)

وبطبيعة الأمر زالت الأختام المسطحة من الاستعمال بزوال حضارة دلمون . وتدل الاختام الاسطوانية القليلة التي اكتشفت في البحرين أن الختم الاسطواني السائد في ما بين النهرين لم يتمكن من أن يفرض نفسه ويطغى على التقاليد الفنية المحلية . ولعل في هذه الحقيقة شيء من الشبه مع حضارة الأناضول حيث ساد الختم المسطح فيها أيضاً في الألف الثاني قبل الميلاد .

أخيراً يرى المنقب أن اختام البحرين لم تستعمل كعلامة للملكية الشخصية بل انتجت كعلامة تجارية تدمغ نوع البضائع (١) غير أن هذا الرأي يصعب التسليم به .

التنقيبات في الكويت :

انتقلت التحريات الأثرية إلى الكويت في عام ١٩٥٨ بدعوة من حكومة دولة الكويت وبدافع من البعثة الدانمركية . وكان الهدف الطبيعي بعد اكتشاف مدنية دلمون في البحرين تتبع آثارها على طول الطريق التجاري المؤدي إلى العراق وكانت المحطة التالية هي جزيرة فيلكا إذ تقع هذه الجزيرة الصغيرة عند مدخل خليج الكويت وتقدم للملاحة مرافىء أمينة وآباراً للمياه العذبة . وبالفعل ظهر على أرض فيلكا فخار الألف الثالث ق . م المعهود خاصة قرب مزار الخضر في الشمال الشرقي من الجزيرة وفي دار المعين في نهايتها الشرقية وفي سعد وسعيد في الزاوية الجنوبية الغربية (٢) حيث ظهر في تل سعد وسعيد بقايا أبنية وكسر الفخار المخدد Ridged من النموذج المكتشف في معابد بربر . كذلك عثر على كمية وفيرة من الاختام المسطحة من حجر الستياتيت (٣) أما التل الصغير الواقع إلى الشرق فقد كشفت الحفريات فيه عن بقايا بيت من العهد اليوناني وكان التل الواقع على مبعدة إلى الشرق والأكبر حجما يتضمن

---

(١) TLN . 28 Jan 1961 , s. 142 .

(٢) P. V. Glob , Investigations in Kwait, Kuml 1958 , s. 169 ff .

(٣) بلغ عددها ٣٥ ختما أحدها كان منقوشاً على وجهيه وبعضها قطعت لتكون أختاماً ولكن لم يجر نقشها بعد . مما يدل على وجود مصنع للأختام نفسها في جزيرة فيلكا أيضاً بالاضافة الى اكتشاف اختام اسطوانية وبلغ المجموع ١٥٠ ختما مسطحاً .

مدينة محصنة من عهد الاسكندر الكبير (١) ظهر منها اكروبول محاط بأسوار وخندق عميق وتحتوي على معبد (تل سعيد) الذي قدم كنزاً من النقود الفضية الهلنستية (٢).

ولقد كانت جزيرة فيلكا معروفة في العهد اليوناني تحت إسم Ikaros وسكنها جنود الاسكندر القدماء التابعين لحملة الهند وقد أثبتت الحفريات ذلك في تل سعيد ولكن اليونان لم يكونوا أول القاطنين — بل تعود عهود الاستيطان الخصبة الى الألف الثالث ممتدة من العهد الأكادي الى عهد لارسا ١٧٠٠ — ٢٥٠٠ ق . م تقريباً . وبقيت الجزيرة بعدها مهجورة حتى مجيء اليونان (؟) ويحق لنا القول أن الجزيرة اتخذت مكانة هامة في العهد الهلنستي لا في التجارة فحسب ولكن كمركز لنقل التأثيرات اليونانية الحضارية الى الجزيرة العربية الأم عن طريق المبادلات التي أجرتها معها . وأن نقداً فضياً صغيراً (Drachma) عثر عليه في فيلكا يكاد يكون موضوعاً لبحث كامل نظراً لأهميته وندارته فهو تقليد لنقود الاسكندر المعهودة بتفاصيلها من هيرا كلس البطل مرتدياً لبدة الأسد وعلى الوجه الثاني للنقد الإله زويس متربعاً على عرشه يحمل على ذراعه اليمنى الممتدة النسر المقدس شعاره . . . الخ وفي حقل الختم الكتابة اليونانية لاسم الملك . كل هذه التفاصيل تنطبق على الدرهم الفضي من فيلكا ما عدا الكتابة اليونانية فإنها استبدلت بكتابة بالخط العربي القديم تذكر اسم الملك « أبي عطا Abyatha » . ونحن في الواقع لا نعرف شيئاً عن هذا الملك . ولكن يمكن أن ننسبه الى قبائل معين في الجنوب العربي . ويؤرخ الدرهم استناداً الى خصائص صناعته وبمقارنته مع ختم آخر مشابه بحوالي ١٥٠ ق . م (٣) . وبالاضافة إلى النقود الهلنستية والاختام المسطحة قدمت مواقع فيلكا كسراً هامة من الأواني الحجرية المصنوعة من حجر الستياتيت المائل الى الخضرة

---

(١) Glob , Kuml 1959, s. 238 — 239 .

D. Morkholm , Kuml 1960, s. 205 ff . Abb . 4

(٢) جرى تأريخ مجموعة النقود بواسطة ختم الملك السوري الهلنستي انطيوخوس الثالث ٢٢٣ ـ ١٨٧ ق . م . ويعتقد بالاستناد إلى صناعة النقود الرديئة وعدم تفهم الحروف اليونانية ان ضربها جرى في جزيرة فيلكا نفسها . ومع هذا فان النقود الفضية تثبت صلة فيلكا بمدن العالم السلوقي العرقية .

(٣) Kuml 1960 , s. 207, Abb . 5/1 .

نقشت عليها مواضيع ميتولوجية ودينية . ولا شك أن هذه الآنية تنتسب الى مجموعة الأواني الستياتيت المصورة بنقوش بارزة والتي عثر عليها في مواقع عديدة عراقية : مثل خفاجة (١) وسوزه (٢) وسورية : مثل ماري (٣) ولكن تمثل مرحلة متأخرة في الاسلوب والزمن . إذ يسود هنا طريقة الرسم الهندسية وتفضيل التخطيط للاشكال العضوية البشرية والحيوانية وهو أسلوب عرفناه في صناعة الاختام المسطحة . ومن المؤكد أن أواني الستياتيت هذه من نفس المدرسة التي يمكن أن نطلق عليها اسم حضارة دلمون (٤) والملاحظ أنه بالاضافة الى النقش فقد وضعت سطور عمودية في الحقول الناشئة بين أجسام الآلهة – كتبت باللغة المسمارية البابلية (٥) بينما تشير بقايا المشهد الى صف آلهة تقف على ظهر ثور يفترس من شجرة أمامه ويرفع الإلآهان ؟ أيديهما أمام الوجه في وضع العبادة التقليدي . الذي تقدمه نقوش أسرة أور الثالثة – أو الاختام البابلية للآلهة المصلية ذات ثوب الصوف Kaunakès ولكن يتميز الاشخاص على الابنيـة من فيلكا بأنهم لا يضعون تيجان القرون – شعار الآلهة – على رؤوسهم بل يكتفون بلبس ثوب الصوف التقليدي . وبالاستناد الى اسلوب الكتابة المسمارية وإلى تكنيك النقش يمكن تأريخ هذه القطعة النفية ببداية الالف الثاني ق . م ولربما من نهاية عهد أور الثالثة رغم أن بعض عناصر المشهد توحي بتأريخ أبكر قد يعود الى نهاية العهد الأكادي . وأحب هنا أن اشير إلى نصب قبر من الاباستر عثرعليه وندل فيليبس في مقبرة تيمنا خلال حملته الى اليمن (٦) جنوبي مأرب .

---

(١) H. Frankfort, Artand Architecture of the Ancient Orient, P. 19, fig. 9.

(٢) A. Parrot, Sumer Fig, 168, A.

(٣) Ibid, Fig. 168, B, C.

(٤) لم يجر نشر هذه الآنية بعد . وأود أن أشكر السيد Bibby على تكرمه بسحب قطع الاناء من المعرض كي أتمكن من دراستها وتصويرها .

(٥) يرد في الكتابة المبتوره اسم الإله INZAK .

(٦) W. Phillips, Kataba and Saba, (Frankfurt 1955) s. 65, Fig. 2 left.

يمثل امرأة بوضع المسير وترتدي ثوباً طويلاً يغطي كافة جسمها الذي رسم من الأمام en face بينما ترك وجهها ليرى من الجانب en profile وترفع ذراعيها - المثنيين بشكل زاوية حادة - على سوية كتفيها بوضع نعرفه في أختام دلمون - لربما هو وضع العبادة . الجدير بالذكر هو لباس رأس المرأة وطريقة تصفيف الشعر إلى الخلف وربطه من الأمام بعصابة مطرزة تدع جبهة المرأة مكشوفة . ويمكن القول أن الجبهة المتراجعة للخلف والأنف المستدق البارز عند الأرنبة إلى الأمام قليلاً وطريقة تصوير العين بشكل لوزة وأصابع اليدين بشكل عصي صغيرة ذات طول واحد لتشكل صلة فنية واتنوجرافية قوية مع سمات الآلهة المنقوشين على الآنية الحجرية من فيلكا - رغم الفاصل الزمني الكبير بينهما - لا يمكن تجاهلها .

أما التحريات في أرض الكويت على الجزيرة العربية فقد اسفرت في منطقة « الباطن » على الحدود الغربية - عن اكتشاف موقعين للصوان المشغول . ولربما تقدم الشعاب العميقة المنحدرة نحو هذه الحوضة مواداً أثرية من العهد الباليوليتكي . كذلك ظهرت مواد من العهد الباليوليتكي المتأخر في المنخفض بين هضاب Burgan (١) ولا نعرف فيما إذا كانت الحفريات في أرض الكويت نفسها ستطالعنا يوماً بمواقع لحضارة دلمون وهذا ليس ببعيد قطعاً . ومن البديهي يتصف بحثنا هذا في تفاصيله على معلومات أولية ترسم الخطوط الرئيسية لعلم الآثار في شرقي الجزيرة العربية والخليج العربي وتهيىء مواداً جديدة لتاريخها ننتظر نشر موادها النهائي واستكمال التحريات فيها لنخط الصورة الواضحة لتاريخ المنطقة . وهـــذا متوقف على النشاط العلمي الأثري وتهيىء الظروف المشجعة له .

ولا يفوتنا أخيراً أن ننوه بأهمية التحريات في قطر وفي عمان حيث قدمت الحفريات في موقع أم النار مدافن ومواد اثرية خصبة جداً من الفترة ذاتها .

---

(١) Kuml, 1958, s. 169 ff.

من الاستعراض الوجيز لنتائج التنقيبات في الخليج العربي نتوصل إلى النقاط الحساسة التالية :

١ — توضحت الحياة البشرية على شواطىء وجزر الخليج العربي منذ ما قبل التاريخ (العهد الباليوليتكي) مفتتحة بذلك صفحات متواصلة من الجهد الانساني البناء الذي استغل الموقع الجغرافي الممتاز ليكون نقطة وصل بين الحضارات في الهند والعراق . ولقد ظل رجال دلمون : ملاحوهم وتجارهم يلعبون نفس الدور — الذي لعبه خلفاؤهم الفينيقيون في البحر الأبيض المتوسط — خلال الألف الثالث ولربما النصف الأول من الألف الثاني أيضاً . فاحتكروا لنفسهم استيراد وتصدير ومبادلة البضائع والسلع المفضلة بين الهند والعراق من سبائك النحاس ومواد العاج واللآلىء وادوات الزينة والمساحيق والتوابل ، مستخدمين الرياح الموسمية في أسفارهم . وكانت مراكزهم التجارية ومدنهم في عمان والبحرين وفيلكا محطات طبيعية تشحن وتفرغ وتودع فيها كل هذه الحاصلات حتى يتم نقلها الى الشمال إلى وادي الفرات حيث حضارة سومر وآكاد المزدهرتين . ونعتقد أن هذا المجتمع المزدهر النشيط لم يقتصر وجوده على المحطات التجارية الآنفة الذكر بل امتد على رقعة أوسع فشمل الساحل الشرقي للجزيرة العربية لمنطقة كان اسمها القديم حسب النصوص المسمارية Makan (لربما هي عمان الحالية) — ونعرف من النصوص الأكادية أن بلاد ماكان كانت داخلة ضمن الامبراطورية الاكادية — ومنها تقتطع حجارة الديوريت القاسية التي صنعت من مادتها كثير من تماثيل ملوك السلالة الاكادية . ويذكر نارام سين أن أعظم عمل قام به هو حربه ضد « ماكان » وفتحها . ويرد اسم « ماكان » في نصوص تالية مقترناً باسم « Melluka » التي يستخرج منها « غبار الذهب » ويحق لنا أن نتساءل الآن لماذا اعتبر نارام سين حملته على « ماكان » أروع ما قام به ، إذا كان في ذلك فتح قسم من صحراء الجزيرة العربية ؟

وبرأيي أن الملك نارام سين لم يكن ليذكر أخبار هذه الحملة ويقوم بها ، لو لم يكن يعرف أن « غبار الذهب » يستخرج من مللوخا . ولقد ذكر ديودوروس (١) والجغرافيون

---

(١) B,k II , ch 50/1 .

العرب (١) وجود مناجم الذهب الصافي الغنية ، التي يستخرج الذهب منها بدون نار ، في الجزيرة العربية . فإذا كانت « ما كان » حسب اعتقاد البعض هي مصر ، و « مللوخا » هي بلاد النوبة(٢) فهل يعقل أن نقول بأن نارام سين الأكادي سير حملة من العراق بلغت مصر واحتلت وادي النيل ؟ وهذا أمر لم تشر إليه النصوص المصرية على الاطلاق . كذلك نسمع بأن حاكم لاجاش « جوديا » دبر حملة على « ما كان » و « مللوخا » طلباً للتجارة والأخشاب (٣) ثم نعلم مؤخراً ان الحكام المعينين اخضعوا مللوخا أيضاً تحت سيادتهم . كل هذه الدلائل توحي بأن المنطقتين موجودتان في الجزيرة العربية .

٢ – لقد كان بين أهل البحرين (دلمون) ملاحين ماهرين ، ومهندسين مبدعين ، وناحتي أحجار واختام وفنانين . . الخ استفادوا من موقع بلادهم الجغرافي والتجاري فتلقوا تيارات الحضارة الغربية من الهند والعراق ومصر بشكل ايجابي وتأثروا بعناصرها – خاصة حضارة سومر وأور – إلى حد كبير . إلا أن ذلك لم يغطي أو يطغى على مقوماتهم الخاصة ، التي ظلت دوماً تحتل المركز الأمامي في التعبيرات الفنية والدينية . كذلك كانوا يلمون بعدد كبير من اللغات ، ولربما من جملتها الكتابة التصويرية الهندية التي لا تزال حتى اليوم متعذراً فك رموزها . ولا شك أن العثور على لوحة فخارية بالكتابة المسمارية الأكادية – البابلية التي كان الدلمونيون يستخدمونها إلى جانب نص بلغة موهنجودارو – حربا – على أرض البحرين أو فيلكا – سيكون له وقع وأهمية تماثل ما كان لاكتشاف حجر رشيد في مصر . ولا نستبعد أنه كان للدلمونيين لغتهم الخاصة .

٣ – لقد حافظ الدلمونيون على خصائصهم الحضارية ، فهم يختلفون عن حضارة وادي الهندوس وحضارة ما بين النهرين بالأشياء التالية :

---

(١) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ١٠١ – ١٠٢ ؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٥٣ – ١٥٤ راجع فيليب حتي : تاريخ العرب ، الجزء الأول ص ٦١ .

(٢) A. Moortgat, Vorderasien bis Zum Hellenismus, s 257 – 262.

(٣) فيليب حتي . تاريخ العرب جزء أول . ص ٤٤ .

آ - لقد فضلوا الحجر كمادة للبناء وانجزوا بواسطته قبوراً تذكارية ومعابد كبيرة وقصورا (!) ومساكن وتحصينات . في حين كان لبن الطين المجفف بالشمس هو المادة الأولى في العراق وفي موهنجودارو - حربا كان القرميد . وفي هذا المضمار نجـد أن الدلمونيون يقتربون أكثر إلى خصائص حضارات مأرب ومعين المجاورة لهم من حيث تفضيل الحجر للبناء والنقوش والتماثيل .

ب - يبدو لدى الدلمونيين تفضيل وحب للأشكال المستديرة في الأختام وفي القبور ولعلنا لا نخطىء إذا عدنا بالذاكرة إلى مصدر هذا الوحي وهو الخيمة أو الخباء المستدير أو حظائر الماشية المستديرة التي يستعملها الرعاة الرحل . فهل يحق لنا أن نستخلص من هذه القرينة دليلا على تاريخ الشعب الدلموني الذي جاوز الآن مرحلة الرعي والتنقل واحتفظ مع ذلك بأشكال منتزعة من الماضي التقليدي الأصيل ؟

وانه يجدر الاشارة إلى أن مثل هذه الأبنية المستديرة المخطط في عهد الملك ميسليم الذي نوهنا بأعماله في مطلع هذا البحث - والذي اعطي اسمه لفترة زمنية من التاريخ نسميها بحقبة الميسليم ٢٧٠٠ - ٢٦٠٠ ق . م . حيث نجـد في معبد خفاجة البيضوي الشكل عادة تطهير أساس المعبد برش طبقة سميكة من الرمل النظيف يبني عليها المعبد مثلما هو الامر في معبد بربر في البحرين وفي المدفن المستدير ٣١/٢ .

ج - من فحص الأدوات المعدنية التي عثر عليها حتى اليوم في البحرين - والتي تتألف معظمها من البرونز نصل إلى الرأي بأنها بالمقارنة مع مثيلاتهـا من مدينة أور أو من منطقة الديالي في العراق - أقل قيمة وأحط صناعة وفي كثير من الأحيان كانت تقليداً لأشكال ميزوبوتامية مماثلة . مما يرجح معه أن سكان البحرين لم يكونوا متمرسين في صناعة المعادن .

د - أما في مضمار الفخار وفنه فإنهم لا يضارعون زملائهم في العراق . فهنا يفتقد الى التلوين الجميل كما إلى الاشكال الرشيقة في الأواني الفخارية . وفي كثير من الأحيان نرى تأثيرات فخارية من الهند ومن بلوخستان تحتل المكان الأول بالاضافة إلى التزيينات الهندسية التخطيطية التي يختص فنانو البحرين بها .

٤ - وتتميز المعتقدات الدينية للحضارة الدلمونيـــة بتأصل عبادة الينابيع وعبادة الخصب

Fruchtbarkeit Kult ولربما أيضاً عبادة الأفاعي التي تمت إلى عبادة الخصب بصلة وثيقة . وهذه المظاهر للعبادة نجد مثيلاً لها خاصة عبادة أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث وتشخيصها بشكل انصاب نجدها لدى الشعب الكنعاني في ماري (معبد ـ Ninni Zaza) وفي اوغاريت وفي المدن الفلسطينية الكنعانية بيت شان (مركز لعبادة الافاعي) وفي جزر . كما أن الآلهة السوريـــة قادش والاله بعل يمسكان عادة بالافاعي ونفس عبادة الخصب وعبادة المياه نجدها ممارسة في جنوب الجزيرة العربية .

من كل ما تقدم نلمس قيمة المساهمة التي تقدمها الحفريات في منطقة الخليج العربي لعلمي الآثار الشرقية ـ والكلاسيكية (اليونانية ـ الرومانية) ـ وبالتالي للتبادلات الحضارية التي تمت في المنطقة خلال ثلاثة آلاف سنة .

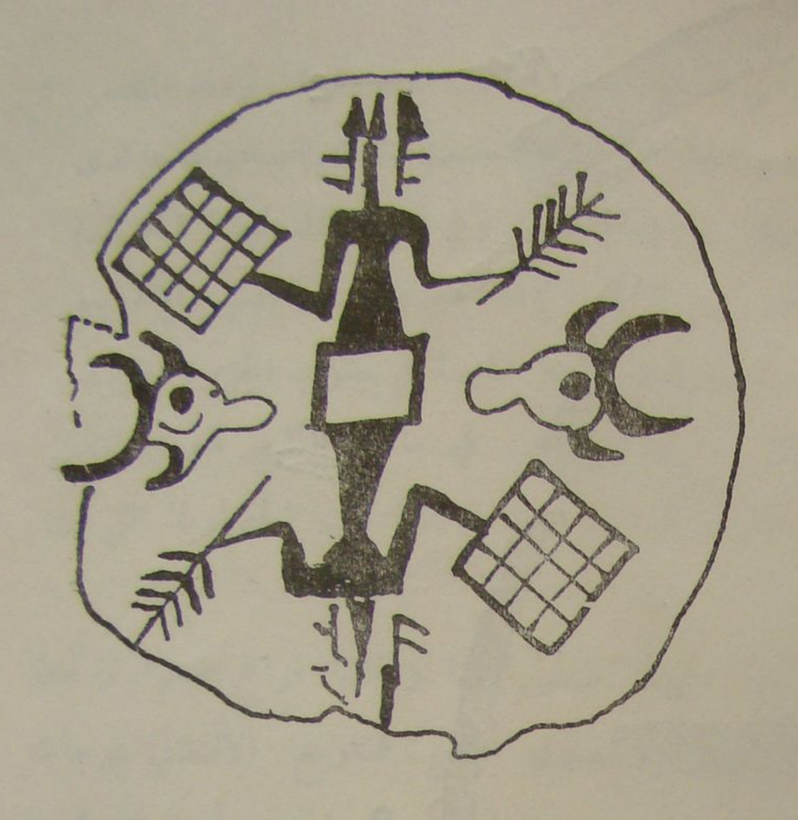
أما بالنسبة للجزيرة العربية والتي ظلت أمداً طويلاً ينظر إليها وكأنها فراغ صحراوي فان الصورة تصبح الآن أكثر حيوية وأعمق أثرا . لقد نفحت الجزيرة التاريخ الانساني بموجات متتابعة كل منها كانت مشعلاً للحضارة اغنت صفحاته ووجهت خطاه منذ فجره . أفلا يحق اليوم أن نكرس المعول والقلم للكشف عن الينبوع .

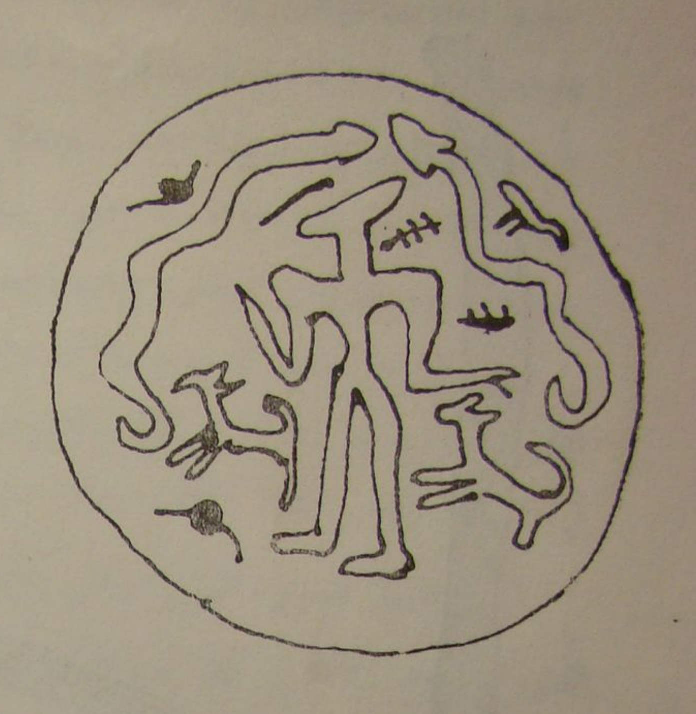
هشام الصفدي

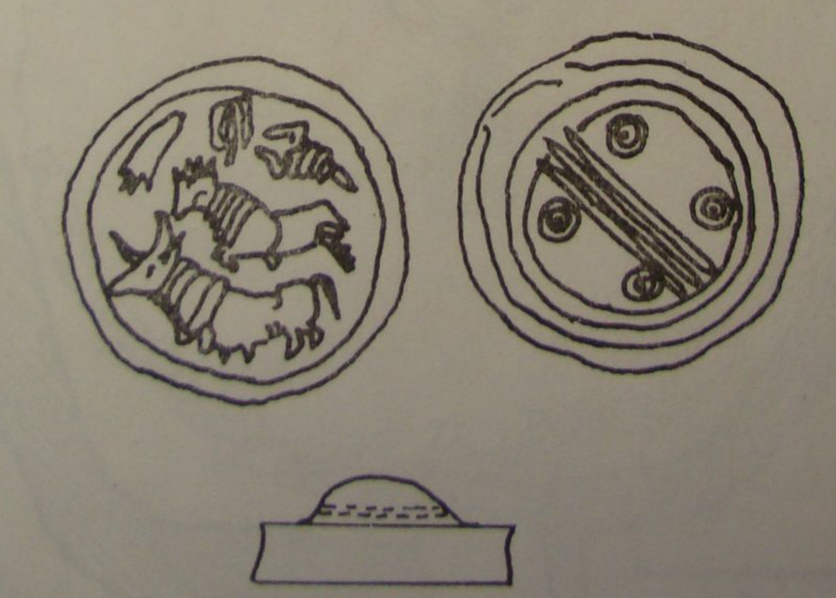
برلين ـ ديلسدورف



الشكل (٥)
مخطط المعبد البيضوي







الشكل (٦)

نماذج من أختام تل أسمر ـ البحرين ـ فيلكا